

الفصل الثاني:

الوحي؛ تعريفه، أنواعه وكيفيةاته

الوحي هو الوسيلة التي أنزل الله تعالى بها القرآن على رسوله محمد ﷺ، وقد أخبر الله تعالى في القرآن الكريم عنه فقال: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۖ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ وَمَا يَبْطِئُ عَنِ الْمَوَىٰ ۚ إِنَّمَا هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ﴾ [النجم: 1-4]، وقال: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآئِ نَفْسِي ۚ إِنِّي أَخَشِئُ أَنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ۚ﴾ [الأعراف: 7]؛ ثم أنكر على العقلاء توهمهم أن في الوحي عجباً عجائباً فقال: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَكَيِّرِ الْمَدِينَةَ ۖ لَمَّا هُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّكَ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [يونس: 2]. هل كان للمنطق أن يقضي بأن اشتراك الناس في البشرية يمنع اختصاص الله واحداً منهم بما شاء من العلم والحكمة والإيمان؟ وهل كان للمنطق أن يعد هذا الاختصاص أعجوبة حتى تفككه الناس باستغراب ما فيه من نكر، ورأى فيه أهل الكفر ما يشبه عمل السحر؟

لم يكن محمد ﷺ بذعاً من المرسلين، ولا كان أول نبي خاطب الناس باسم الوحي، وحديثهم بحديث السماء، فمن لدن نوح ﷺ تتابع أفراد مصطفىون أخيار ينطقون عن الله ولا ينطقون عن الهوى، ولم يكن الوحي الذي أيدهم به الله مخالفاً الوحي الذي أيد به محمداً ﷺ، بل كانت ظاهرة الوحي متماثلة عند الجميع؛ لأن مصدرها واحد، وغايتها واحدة⁽¹⁾، كما قال الله: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَاللَّيْثِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زَكَرِيَّا وَرُؤُسًا ۖ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۖ﴾ [النساء: 163-164]. وواضح أن الأنبياء

(1) تفسير الطبري 6/20.

الذين صرحت الآية بأسمائهم إنما خُصُّوا؛ لأنهم كانوا أشهر أنبياء بني إسرائيل، وكانت أخبارهم مشهورة بين أهل الكتاب المجاورين لرسول الله ﷺ في الحجاز وما حوله.

معنى الوحي لغة:

قال الإمام ابن فارس⁽¹⁾: (الواو والحاء والياء والحرف المُعْتَلّ: أَضْلَ يَذُلُّ عَلَى إِقَاءٍ عِلْمٍ فِي إِخْفَاءٍ إِلَى غَيْرِكَ، فَالْوَحْيُ: الْإِشَارَةُ، وَالْوَحْيُ: الْكِتَابُ وَالرُّسَالَةُ، وَكُلُّ مَا أَلْقَيْتَهُ إِلَى غَيْرِكَ حَتَّى عِلِمَهُ فَهُوَ وَحْيٌ كَيْفَ كَانَ). ويختص معنى الوحي لغةً إضافةً إلى ما قاله ابن فارس بتضمينه معنى السرعة، فالإشارة السريعة هي التي يقال لها: وَحْيٌ. وورد الوحي في القرآن بمعنى الإلهام، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أَرْمُوزَ أَنْ أَرْصِيحِي﴾ [القصاص: 7].

أما في الاصطلاح الشرعي:

فالوحي هو إعلام الله تعالى لِمَنْ اصطفاه من عباده بطريق خفية سريعة.

مراتب الوحي:

وإذا ابتغيينا التفصيل لهذا الإجمال عن الوحي، وتساءلنا عن كلياته وأحواله وآثاره فإن خير مرجع يحقق لنا تلك الأمانة هو صاحب الوحي نفسه، في نصوص القرآن الصريحة والأحاديث الصحيحة.

جاء في الحديث الصحيح: «أول ما بُدِيَءَ به رسولُ الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِبَ إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنّث فيه - وهو التعبّد - الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثالثة فقال: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾

(1) ابن فارس، «معجم مقاييس اللغة».

أَفَرَأَىٰ وَرَبَّكَ الْأَكْثَرُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ [العلق: 1-4]. فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده. فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة - وأخبرها الخبر -: لقد خشيت على نفسي. فقالت له: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة، وكان امرأً قد تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب في الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي. فقالت له خديجة: يا ابن عمّ، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى.

فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «أَوْ مُخْرَجِي هُمْ؟» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي.

قال ابن شهاب: وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: وهو يحدث عن فترة الوحي: فقال في حديثه: «بينما أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء فرفعتُ بصري فإذا الملك الذي جاء في حراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض، فرعبتُ منه فرجعتُ، فقلت: زملوني زملوني، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ [المدثر: 1-2] إلى قوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: 5] فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَوَاتَرَ»⁽¹⁾.

كيفيةات الوحي:

ولست مراتب الوحي مقتصرة على هذين الحالين اللذين عرفناهما من الحديث: الرؤيا والأخذ من المَلَك، بل إن له مراتب وكيفيةات عدّة ذكر القرآن الكريم أصولها في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُمْ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: 51].

(1) أخرجه البخاري في أول صحيحه، ومسلم في الإيمان ج1، ص: 57. غَطَنِي: ضمني وعصرني بقوة. زملوني: لففوني بالثياب. الروع: الفزع. الناموس: صاحب السر. جذع: شاب. لم ينشب: لم يلبث.

وقد دلت هذه الآية الجامعة على كفيات الوحي وأنها ثلاث لا رابع لها،
وسماها العلماء مراتب الوحي، وهي:

1 - أن يُلقى الله ما يريد إلقاءه إلى النبي مباشرة بطريق خفي سريع دون واسطة.

2 - أن يكلم الله النبي، من وراء حجاب تكليماً.

3 - أن يُرسل الله المَلَك إلى النبي فيلقي إليه ما أمره الله تعالى به.

وقد بحث العلماء في هذه المراتب - ومرادهم كفيات الوحي - واستقصوا
أحوالها فيما ورد من وصف الوحي من الكتاب والسنة، وأوصلوها إلى سبع مراتب
ينقسم إليها الوحي ويقع بها، ومنهم مَنْ جعلها ثمان مراتب⁽¹⁾، وترجع كلها إلى
المراتب الأساسية التي ذكرتها الآية، وتندرج في ضمنها ولا تتجاوز حدها، كما يتضح
من هذا البيان الذي يشرحها:

المرتبة الأولى: الرؤيا الصادقة، وذلك كما ورد في حديث عائشة: «أول ما
بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم»، والوحي في هذه المرتبة
إما أن يكون بإلقاء الله أو بواسطة المَلَك، فهو داخل في الآية لا يخرج عنها.

المرتبة الثانية: أن يأتيه المَلَك يَقْظَةً، فيلقي في رُوعه أي قلبه وباله من غير أن
يسمعه ولا يراه، كما أخرج الشهاب والحاكم عن ابن مسعود أنه ﷺ قال: «إِنْ رُؤِيَ
الْقُدْسُ نَفَثَ فِي رُوعِي: أَنْ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَتَكَمَّلَ رِزْقُهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي
الطَّلَبِ...»⁽²⁾.

المرتبة الثالثة: أن يَتَمَثَّلَ له المَلَك رجلاً فيخاطبه فيعي عنه ما يقول، كما في
الحديث المشهور من سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة.
وهو مُتَّفَق عليه⁽³⁾.

(1) انظر في ذلك: «الروض الأنف» للسهلي ج1، ص: 153 - 154. و«زاد المعاد» لابن القيم ج1، ص:
77 - 80 (ط. الرسالة)، و«الإتقان» للسيوطي ج1، ص: 44. و«المواهب اللدنية» للقطلاني،
و«شرحه» للزرقاني، ج1، ص: 55. وغيرها.

(2) «مسند الشهاب» بلفظه ج2، ص: 185، و«المستدرک» بنحوه ج2، ص: 4، وله شواهد كثيرة تقويه.

(3) عن أبي هريرة. وأخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب: البخاري (سؤال جبريل...) ج1/15، ومسلم أول
الإيمان.

المرتبة الرابعة: أن يأتيه الملك على حاله المَلَكِيَّة ويوحى إليه، فيسمعه ولا يراه، وفي هذه المرتبة يأتيه الوحي مثل صلصلة الجرس، وكان ذلك أشد الوحي عليه ﷺ.

المرتبة الخامسة: أن يأتيه الملك جبريل ويراه النبي ﷺ في صورته الملكية العظيمة التي خُلِقَ عليها ويسمعه، فيوحى إليه ما شاء الله أن يوحى. وهذا وقع له ﷺ مرتين⁽¹⁾: إحداهما في الأرض عند وحي آيات المدثر، والثانية: في السماء ليلة المعراج عند سِدْرَةِ المنتهى، كما في سورة النجم: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۚ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ إِذْ يَخْشَى الْفَسْدَ مَا يَعْشَىٰ ۚ مَا يَبْصُرُ مَا ظَهَرَ ۚ وَمَا لَمْ يَطْمَئِنَّ رَأْيَ مَنْ ءَايَتْ رَبَّهُ ۚ الْكُبْرَىٰ ۚ﴾ [النجم: 13-18].

وهذه المراتب الأربعة التي بعد الأولى كلها صور لمرتبة واحدة لا تخرج عنها، ذكرها القرآن في قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: 51].

المرتبة السادسة: كلام الله تعالى للنبي من وراء حجاب، كما وقع للنبي ﷺ ليلة المعراج بعد أن استقرت فريضة الصلوات على الخمس فنودي: «أَحْكُمْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَلَىٰ عِبَادِي»، وكما وقع لموسى ﷺ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164].

المرتبة السابعة: كلام الله تعالى للنبي وحياً بلا واسطة مَلَكٍ ولا حِجَاب، كما أوحاه إلى النبي ﷺ ليلة المعراج وهو فوق السموات من فرض الصلوات ومضاعفة الحسنات الحسنة بعشر أمثالها، وغير ذلك، وهي مرتبة داخلية في قوله: ﴿أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: 51] أي إعلاماً خفياً.

لكن بعضهم استشكل ما وردت به الأحاديث في هذه المرتبة وقال به أكثر العلماء أنه ﷺ رأى ربه ﷻ ليلة المعراج كيف يتفق مع قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: 51] وليس ههنا حجاب؟

إلا أن هذا الإشكال في الحقيقة غير وارد هنا إذا ما علمنا أن الوحي الإلهي في هذه المرتبة لا يشبه خطاب الخلق، بل هو داخل في قوله إلا وحياً، لأن الوحي إعلام

(1) كما في مسلم في كتاب الإيمان ج1، ص: 109.

في خفاء، وقد أبان الإمام المفسر البيضاوي عن ذلك في تفسيره لهذه الآية وهو يفسر ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾: «كلاماً خفياً يُدرك بسرعة، لأنه تمثيل، ليس في ذاته مركباً من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة»، فأزاح بذلك شبهة خروج هذه المرتبة عن حد الآية الكريمة.

مظاهر الوحي:

والوحي في أي مرتبة من مراتبه أمر عظيم يقتضي من الإنسان أن يتجاوز حدود المادة وعالم الشهادة ليتصل بالملائكة وعالم الغيب، وذلك يقتضي من صاحبه استعداداً يهيئه الله تعالى في أولئك الأخيار الذين اصطفاهم من خلقه لهذه المنزلة، وكثيراً ما كان يَحْدُثُ للنبي ﷺ مشقة شديدة في التلقي من الملك. قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيتُ عنه ما قال، وأحياناً يتمثلُ لي الملكُ رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول». قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ولقد رأيته ينزلُ عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليَتَفَصَّدُ عَرَقاً»⁽¹⁾.

ومن آثار الوحي ومظاهره على النبي ﷺ ما وردت به هذه الأحاديث:

1 - ما ذكر في حديث السيدة عائشة الذي رواه سابقاً.

وأخرج البخاري أول «صحيحه» ومسلم⁽²⁾ عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: 16]، قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفّيته، فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لك كما كان رسول الله ﷺ يحركهما، وقال سعيد أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما، فحرك شفّيته، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) [القيامة: 16-17]، قال ﴿جَمْعُهُ﴾ لك في صدرك وتقرأه، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَأَنبِئْ قُرْآنَهُ﴾، قال: فاستمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾، ثم إن علينا أن تقرأه.

(1) متفق عليه: البخاري في مطلع صحيحه، ص: 2-3، ومسلم في الفضائل (باب عرق النبي ﷺ...) ج7، ص: 82.

(2) البخاري ج1، ص: 4. ومسلم أول الصلاة ج2، ص: 35.

فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما كان قرأه.

2 - أنه ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي سَمِعَ عند وجهه دويٌّ كدويِّ النحل، عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يُسَمِعُ عند وجهه دويٌّ كدويِّ النحل، فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال: «اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تُهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وأثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، ثم قال: لقد أنزلت عليّ عشرُ آياتٍ من أقامهن دخل الجنة»، ثم قرأ علينا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾... حتى ختم العشر⁽¹⁾، أخرجه أحمد والترمذي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

3 - أنه ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي نُقِلَ جسمه حتى يكاد يرضُ فَيُخَذُ فَيُجَذُّ الجالس إلى جنبه.

عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ أُملى عليه:

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُمَلِّها علي قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان أعمى - فأنزل الله على رسوله ﷺ وَفَخِذْهُ عَلَى فخذِي، فثقلت عليّ حتى خفتُ أن ترضُ فخذِي، ثم سُرِّي عنه فأنزل الله: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: 95]، أخرجه البخاري بلفظه وأحمد وأبو داود وغيرهم⁽²⁾.

4 - أنه ﷺ إذا نزل عليه الوحي بركت به راحلته.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «إن كان يوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجرانها» أخرجه أحمد⁽³⁾.

(1) وهي: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنْ ابْتَغَى زَوَاةَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١) [المؤمنون: 1-11]

انظر: الحديث في المسند رقم 223، والترمذي ج 2، ص: 316 - 317، والمستدرک ج 1، ص: 535.

(2) البخاري: ج 6/47، وأبو داود ج 3/11، و«المسند» ج 5/184.

(3) ج 6، ص: 118.

وعن عروة بن الزبير: أن النبي ﷺ «كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت جرائنها فما تستطيع أن تحرك حتى يسرى عنه». أخرجه ابن جرير، وهو مرسل، والجران باطن عنق الناقة.

وقد حضّ النبي ﷺ المسلم على أن يجعل ليوم الوحي اهتماماً وتوجهاً خاصاً إلى الله، بمجاهدة النفس والتصفية لها بصيام مستحب، تكميلاً ومتابعة لمجاهدتها بالصيام المفروض في شهر رمضان حتى تصفو النفوس من أكارها وتخلص القلوب وجهتها نحو بارئها سبحانه، وتقبل عليه بقوة وعزم، وعلى العالم بالمكارم والإصلاح ودعوة الخير الذي نزل به الوحي في ذلك اليوم، أخرج مسلم⁽¹⁾ عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم الاثنين فقال: «فيه ولدت، وفيه أنزل علي»⁽²⁾.

الرد على منكري الوحي:

وقد أثار أعداء الأنبياء والكافرون ببعثة الرسل الشبهات حول ثبوت الوحي من الله تعالى لهؤلاء الخيرة المصطفين من عباده، وتعللوا في إنكارهم بتعللات مختلفة، بدأها أوائلهم في العصور السالفة الغابرة وجددها أوأخرهم في العصور الخالفة الحاضرة.

ويتلخص أهم ما قالوه في دعويين سبق إليهما الكفرة المشركون من قبل، حين زعموا أن النبي ﷺ مجنون، أو أنه مصاب بمرض عصبي، وزعموا أنه يأتيه رثي من الجن يلقي إليه هذا القرآن، ولما كان منكرو النبوة في هذا العصر ينكرون الجن فقد صاغوا شبهتهم باسم «الوحي النفسي».

(1) في «صحيحه» كتاب الصيام ج3، ص: 168.

(2) وبهذه الدراسة يتبين لنا بجلاء الفرق بين الوحي والإلهام أو الكشف، وذلك من وجوه كثيرة نذكر منها:
1 - إن الوحي أخذ وتلق من ذات خارجية علوية أمرة قاهرة، تتلقاه شخصية النبي مدعنة ضعيفة مأمورة. أما الإلهام والكشف فيدخل فيهما عنصر الحدس والتخمين وعمل الذهن غير الشعوري.
2 - إن الوحي يوقع في القلب علماً يقينياً اضطرارياً لا يقبل التغير ولا التبديل، أما الكشف أو الإلهام فهو أمر يقع في النفس فتعرفه معرفة دون اليقين، وقد تتحمس له كاليقين، لكن كثيراً ما يظهر الخطأ فيه.
3 - إنه يجب الأخذ بالوحي قطعاً، لكن لا يجوز الأخذ بالإلهام أو الكشف وإن تكرر صدقه إلا بعد عرضه على دلائل الشرع، لأن الوحي معصوم، أما الإلهام وكذا الكشف ونحو ذلك فليس شيء منها بمعصوم، فلا بد من مراجعة ذلك.

ولا شك أن دعوى المرض العصبي كذب واضح يدل على الجهل الفاضح بشخص محمد ﷺ وبالقرآن الكريم، بل يدين قائله بأنه بلغ به العناد والتجني على الحقيقة مبلغاً فقد به توازنه العقلي، فالتاريخ يشهد بأدلة القاطعة للنبي ﷺ أنه كان أعظم الناس خلقاً، وأوسعهم أفقاً، وأشجعهم قلباً، وأسخاهم يداً، لا تصمد أمامه معضلة، ولا يتعقد أمامه موقف إلا واجهه بأحسن الحلول وأعلاها وأفضلها، وأنه كان أفصح الناس لساناً وأعذبهم بياناً، مما يشهد بأنه ﷺ أكمل العالم عقلاً وتفكيراً وأنه أمة وحده في علو أخلاقه وثباته وحلمه، وكمال عقله ورباطة جأشه، ولهذا رد القرآن على هؤلاء بأنهم هم الذين فقدوا رشدهم: ﴿فَسَبِّحْهُ وَبِحَمْدِهِ﴾ ^(٥) ^(٦) ^(٧) ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١) ^(١٢) ^(١٣) ^(١٤) ^(١٥) ^(١٦) ^(١٧) ^(١٨) ^(١٩) ^(٢٠) ^(٢١) ^(٢٢) ^(٢٣) ^(٢٤) ^(٢٥) ^(٢٦) ^(٢٧) ^(٢٨) ^(٢٩) ^(٣٠) ^(٣١) ^(٣٢) ^(٣٣) ^(٣٤) ^(٣٥) ^(٣٦) ^(٣٧) ^(٣٨) ^(٣٩) ^(٤٠) ^(٤١) ^(٤٢) ^(٤٣) ^(٤٤) ^(٤٥) ^(٤٦) ^(٤٧) ^(٤٨) ^(٤٩) ^(٥٠) ^(٥١) ^(٥٢) ^(٥٣) ^(٥٤) ^(٥٥) ^(٥٦) ^(٥٧) ^(٥٨) ^(٥٩) ^(٦٠) ^(٦١) ^(٦٢) ^(٦٣) ^(٦٤) ^(٦٥) ^(٦٦) ^(٦٧) ^(٦٨) ^(٦٩) ^(٧٠) ^(٧١) ^(٧٢) ^(٧٣) ^(٧٤) ^(٧٥) ^(٧٦) ^(٧٧) ^(٧٨) ^(٧٩) ^(٨٠) ^(٨١) ^(٨٢) ^(٨٣) ^(٨٤) ^(٨٥) ^(٨٦) ^(٨٧) ^(٨٨) ^(٨٩) ^(٩٠) ^(٩١) ^(٩٢) ^(٩٣) ^(٩٤) ^(٩٥) ^(٩٦) ^(٩٧) ^(٩٨) ^(٩٩) ^(١٠٠) ^(١٠١) ^(١٠٢) ^(١٠٣) ^(١٠٤) ^(١٠٥) ^(١٠٦) ^(١٠٧) ^(١٠٨) ^(١٠٩) ^(١١٠) ^(١١١) ^(١١٢) ^(١١٣) ^(١١٤) ^(١١٥) ^(١١٦) ^(١١٧) ^(١١٨) ^(١١٩) ^(١٢٠) ^(١٢١) ^(١٢٢) ^(١٢٣) ^(١٢٤) ^(١٢٥) ^(١٢٦) ^(١٢٧) ^(١٢٨) ^(١٢٩) ^(١٣٠) ^(١٣١) ^(١٣٢) ^(١٣٣) ^(١٣٤) ^(١٣٥) ^(١٣٦) ^(١٣٧) ^(١٣٨) ^(١٣٩) ^(١٤٠) ^(١٤١) ^(١٤٢) ^(١٤٣) ^(١٤٤) ^(١٤٥) ^(١٤٦) ^(١٤٧) ^(١٤٨) ^(١٤٩) ^(١٥٠) ^(١٥١) ^(١٥٢) ^(١٥٣) ^(١٥٤) ^(١٥٥) ^(١٥٦) ^(١٥٧) ^(١٥٨) ^(١٥٩) ^(١٦٠) ^(١٦١) ^(١٦٢) ^(١٦٣) ^(١٦٤) ^(١٦٥) ^(١٦٦) ^(١٦٧) ^(١٦٨) ^(١٦٩) ^(١٧٠) ^(١٧١) ^(١٧٢) ^(١٧٣) ^(١٧٤) ^(١٧٥) ^(١٧٦) ^(١٧٧) ^(١٧٨) ^(١٧٩) ^(١٨٠) ^(١٨١) ^(١٨٢) ^(١٨٣) ^(١٨٤) ^(١٨٥) ^(١٨٦) ^(١٨٧) ^(١٨٨) ^(١٨٩) ^(١٩٠) ^(١٩١) ^(١٩٢) ^(١٩٣) ^(١٩٤) ^(١٩٥) ^(١٩٦) ^(١٩٧) ^(١٩٨) ^(١٩٩) ^(٢٠٠) ^(٢٠١) ^(٢٠٢) ^(٢٠٣) ^(٢٠٤) ^(٢٠٥) ^(٢٠٦) ^(٢٠٧) ^(٢٠٨) ^(٢٠٩) ^(٢١٠) ^(٢١١) ^(٢١٢) ^(٢١٣) ^(٢١٤) ^(٢١٥) ^(٢١٦) ^(٢١٧) ^(٢١٨) ^(٢١٩) ^(٢٢٠) ^(٢٢١) ^(٢٢٢) ^(٢٢٣) ^(٢٢٤) ^(٢٢٥) ^(٢٢٦) ^(٢٢٧) ^(٢٢٨) ^(٢٢٩) ^(٢٣٠) ^(٢٣١) ^(٢٣٢) ^(٢٣٣) ^(٢٣٤) ^(٢٣٥) ^(٢٣٦) ^(٢٣٧) ^(٢٣٨) ^(٢٣٩) ^(٢٤٠) ^(٢٤١) ^(٢٤٢) ^(٢٤٣) ^(٢٤٤) ^(٢٤٥) ^(٢٤٦) ^(٢٤٧) ^(٢٤٨) ^(٢٤٩) ^(٢٥٠) ^(٢٥١) ^(٢٥٢) ^(٢٥٣) ^(٢٥٤) ^(٢٥٥) ^(٢٥٦) ^(٢٥٧) ^(٢٥٨) ^(٢٥٩) ^(٢٦٠) ^(٢٦١) ^(٢٦٢) ^(٢٦٣) ^(٢٦٤) ^(٢٦٥) ^(٢٦٦) ^(٢٦٧) ^(٢٦٨) ^(٢٦٩) ^(٢٧٠) ^(٢٧١) ^(٢٧٢) ^(٢٧٣) ^(٢٧٤) ^(٢٧٥) ^(٢٧٦) ^(٢٧٧) ^(٢٧٨) ^(٢٧٩) ^(٢٨٠) ^(٢٨١) ^(٢٨٢) ^(٢٨٣) ^(٢٨٤) ^(٢٨٥) ^(٢٨٦) ^(٢٨٧) ^(٢٨٨) ^(٢٨٩) ^(٢٩٠) ^(٢٩١) ^(٢٩٢) ^(٢٩٣) ^(٢٩٤) ^(٢٩٥) ^(٢٩٦) ^(٢٩٧) ^(٢٩٨) ^(٢٩٩) ^(٣٠٠) ^(٣٠١) ^(٣٠٢) ^(٣٠٣) ^(٣٠٤) ^(٣٠٥) ^(٣٠٦) ^(٣٠٧) ^(٣٠٨) ^(٣٠٩) ^(٣١٠) ^(٣١١) ^(٣١٢) ^(٣١٣) ^(٣١٤) ^(٣١٥) ^(٣١٦) ^(٣١٧) ^(٣١٨) ^(٣١٩) ^(٣٢٠) ^(٣٢١) ^(٣٢٢) ^(٣٢٣) ^(٣٢٤) ^(٣٢٥) ^(٣٢٦) ^(٣٢٧) ^(٣٢٨) ^(٣٢٩) ^(٣٣٠) ^(٣٣١) ^(٣٣٢) ^(٣٣٣) ^(٣٣٤) ^(٣٣٥) ^(٣٣٦) ^(٣٣٧) ^(٣٣٨) ^(٣٣٩) ^(٣٤٠) ^(٣٤١) ^(٣٤٢) ^(٣٤٣) ^(٣٤٤) ^(٣٤٥) ^(٣٤٦) ^(٣٤٧) ^(٣٤٨) ^(٣٤٩) ^(٣٥٠) ^(٣٥١) ^(٣٥٢) ^(٣٥٣) ^(٣٥٤) ^(٣٥٥) ^(٣٥٦) ^(٣٥٧) ^(٣٥٨) ^(٣٥٩) ^(٣٦٠) ^(٣٦١) ^(٣٦٢) ^(٣٦٣) ^(٣٦٤) ^(٣٦٥) ^(٣٦٦) ^(٣٦٧) ^(٣٦٨) ^(٣٦٩) ^(٣٧٠) ^(٣٧١) ^(٣٧٢) ^(٣٧٣) ^(٣٧٤) ^(٣٧٥) ^(٣٧٦) ^(٣٧٧) ^(٣٧٨) ^(٣٧٩) ^(٣٨٠) ^(٣٨١) ^(٣٨٢) ^(٣٨٣) ^(٣٨٤) ^(٣٨٥) ^(٣٨٦) ^(٣٨٧) ^(٣٨٨) ^(٣٨٩) ^(٣٩٠) ^(٣٩١) ^(٣٩٢) ^(٣٩٣) ^(٣٩٤) ^(٣٩٥) ^(٣٩٦) ^(٣٩٧) ^(٣٩٨) ^(٣٩٩) ^(٤٠٠) ^(٤٠١) ^(٤٠٢) ^(٤٠٣) ^(٤٠٤) ^(٤٠٥) ^(٤٠٦) ^(٤٠٧) ^(٤٠٨) ^(٤٠٩) ^(٤١٠) ^(٤١١) ^(٤١٢) ^(٤١٣) ^(٤١٤) ^(٤١٥) ^(٤١٦) ^(٤١٧) ^(٤١٨) ^(٤١٩) ^(٤٢٠) ^(٤٢١) ^(٤٢٢) ^(٤٢٣) ^(٤٢٤) ^(٤٢٥) ^(٤٢٦) ^(٤٢٧) ^(٤٢٨) ^(٤٢٩) ^(٤٣٠) ^(٤٣١) ^(٤٣٢) ^(٤٣٣) ^(٤٣٤) ^(٤٣٥) ^(٤٣٦) ^(٤٣٧) ^(٤٣٨) ^(٤٣٩) ^(٤٤٠) ^(٤٤١) ^(٤٤٢) ^(٤٤٣) ^(٤٤٤) ^(٤٤٥) ^(٤٤٦) ^(٤٤٧) ^(٤٤٨) ^(٤٤٩) ^(٤٥٠) ^(٤٥١) ^(٤٥٢) ^(٤٥٣) ^(٤٥٤) ^(٤٥٥) ^(٤٥٦) ^(٤٥٧) ^(٤٥٨) ^(٤٥٩) ^(٤٦٠) ^(٤٦١) ^(٤٦٢) ^(٤٦٣) ^(٤٦٤) ^(٤٦٥) ^(٤٦٦) ^(٤٦٧) ^(٤٦٨) ^(٤٦٩) ^(٤٧٠) ^(٤٧١) ^(٤٧٢) ^(٤٧٣) ^(٤٧٤) ^(٤٧٥) ^(٤٧٦) ^(٤٧٧) ^(٤٧٨) ^(٤٧٩) ^(٤٨٠) ^(٤٨١) ^(٤٨٢) ^(٤٨٣) ^(٤٨٤) ^(٤٨٥) ^(٤٨٦) ^(٤٨٧) ^(٤٨٨) ^(٤٨٩) ^(٤٩٠) ^(٤٩١) ^(٤٩٢) ^(٤٩٣) ^(٤٩٤) ^(٤٩٥) ^(٤٩٦) ^(٤٩٧) ^(٤٩٨) ^(٤٩٩) ^(٥٠٠) ^(٥٠١) ^(٥٠٢) ^(٥٠٣) ^(٥٠٤) ^(٥٠٥) ^(٥٠٦) ^(٥٠٧) ^(٥٠٨) ^(٥٠٩) ^(٥١٠) ^(٥١١) ^(٥١٢) ^(٥١٣) ^(٥١٤) ^(٥١٥) ^(٥١٦) ^(٥١٧) ^(٥١٨) ^(٥١٩) ^(٥٢٠) ^(٥٢١) ^(٥٢٢) ^(٥٢٣) ^(٥٢٤) ^(٥٢٥) ^(٥٢٦) ^(٥٢٧) ^(٥٢٨) ^(٥٢٩) ^(٥٣٠) ^(٥٣١) ^(٥٣٢) ^(٥٣٣) ^(٥٣٤) ^(٥٣٥) ^(٥٣٦) ^(٥٣٧) ^(٥٣٨) ^(٥٣٩) ^(٥٤٠) ^(٥٤١) ^(٥٤٢) ^(٥٤٣) ^(٥٤٤) ^(٥٤٥) ^(٥٤٦) ^(٥٤٧) ^(٥٤٨) ^(٥٤٩) ^(٥٥٠) ^(٥٥١) ^(٥٥٢) ^(٥٥٣) ^(٥٥٤) ^(٥٥٥) ^(٥٥٦) ^(٥٥٧) ^(٥٥٨) ^(٥٥٩) ^(٥٦٠) ^(٥٦١) ^(٥٦٢) ^(٥٦٣) ^(٥٦٤) ^(٥٦٥) ^(٥٦٦) ^(٥٦٧) ^(٥٦٨) ^(٥٦٩) ^(٥٧٠) ^(٥٧١) ^(٥٧٢) ^(٥٧٣) ^(٥٧٤) ^(٥٧٥) ^(٥٧٦) ^(٥٧٧) ^(٥٧٨) ^(٥٧٩) ^(٥٨٠) ^(٥٨١) ^(٥٨٢) ^(٥٨٣) ^(٥٨٤) ^(٥٨٥) ^(٥٨٦) ^(٥٨٧) ^(٥٨٨) ^(٥٨٩) ^(٥٩٠) ^(٥٩١) ^(٥٩٢) ^(٥٩٣) ^(٥٩٤) ^(٥٩٥) ^(٥٩٦) ^(٥٩٧) ^(٥٩٨) ^(٥٩٩) ^(٦٠٠) ^(٦٠١) ^(٦٠٢) ^(٦٠٣) ^(٦٠٤) ^(٦٠٥) ^(٦٠٦) ^(٦٠٧) ^(٦٠٨) ^(٦٠٩) ^(٦١٠) ^(٦١١) ^(٦١٢) ^(٦١٣) ^(٦١٤) ^(٦١٥) ^(٦١٦) ^(٦١٧) ^(٦١٨) ^(٦١٩) ^(٦٢٠) ^(٦٢١) ^(٦٢٢) ^(٦٢٣) ^(٦٢٤) ^(٦٢٥) ^(٦٢٦) ^(٦٢٧) ^(٦٢٨) ^(٦٢٩) ^(٦٣٠) ^(٦٣١) ^(٦٣٢) ^(٦٣٣) ^(٦٣٤) ^(٦٣٥) ^(٦٣٦) ^(٦٣٧) ^(٦٣٨) ^(٦٣٩) ^(٦٤٠) ^(٦٤١) ^(٦٤٢) ^(٦٤٣) ^(٦٤٤) ^(٦٤٥) ^(٦٤٦) ^(٦٤٧) ^(٦٤٨) ^(٦٤٩) ^(٦٥٠) ^(٦٥١) ^(٦٥٢) ^(٦٥٣) ^(٦٥٤) ^(٦٥٥) ^(٦٥٦) ^(٦٥٧) ^(٦٥٨) ^(٦٥٩) ^(٦٦٠) ^(٦٦١) ^(٦٦٢) ^(٦٦٣) ^(٦٦٤) ^(٦٦٥) ^(٦٦٦) ^(٦٦٧) ^(٦٦٨) ^(٦٦٩) ^(٦٧٠) ^(٦٧١) ^(٦٧٢) ^(٦٧٣) ^(٦٧٤) ^(٦٧٥) ^(٦٧٦) ^(٦٧٧) ^(٦٧٨) ^(٦٧٩) ^(٦٨٠) ^(٦٨١) ^(٦٨٢) ^(٦٨٣) ^(٦٨٤) ^(٦٨٥) ^(٦٨٦) ^(٦٨٧) ^(٦٨٨) ^(٦٨٩) ^(٦٩٠) ^(٦٩١) ^(٦٩٢) ^(٦٩٣) ^(٦٩٤) ^(٦٩٥) ^(٦٩٦) ^(٦٩٧) ^(٦٩٨) ^(٦٩٩) ^(٧٠٠) ^(٧٠١) ^(٧٠٢) ^(٧٠٣) ^(٧٠٤) ^(٧٠٥) ^(٧٠٦) ^(٧٠٧) ^(٧٠٨) ^(٧٠٩) ^(٧١٠) ^(٧١١) ^(٧١٢) ^(٧١٣) ^(٧١٤) ^(٧١٥) ^(٧١٦) ^(٧١٧) ^(٧١٨) ^(٧١٩) ^(٧٢٠) ^(٧٢١) ^(٧٢٢) ^(٧٢٣) ^(٧٢٤) ^(٧٢٥) ^(٧٢٦) ^(٧٢٧) ^(٧٢٨) ^(٧٢٩) ^(٧٣٠) ^(٧٣١) ^(٧٣٢) ^(٧٣٣) ^(٧٣٤) ^(٧٣٥) ^(٧٣٦) ^(٧٣٧) ^(٧٣٨) ^(٧٣٩) ^(٧٤٠) ^(٧٤١) ^(٧٤٢) ^(٧٤٣) ^(٧٤٤) ^(٧٤٥) ^(٧٤٦) ^(٧٤٧) ^(٧٤٨) ^(٧٤٩) ^(٧٥٠) ^(٧٥١) ^(٧٥٢) ^(٧٥٣) ^(٧٥٤) ^(٧٥٥) ^(٧٥٦) ^(٧٥٧) ^(٧٥٨) ^(٧٥٩) ^(٧٦٠) ^(٧٦١) ^(٧٦٢) ^(٧٦٣) ^(٧٦٤) ^(٧٦٥) ^(٧٦٦) ^(٧٦٧) ^(٧٦٨) ^(٧٦٩) ^(٧٧٠) ^(٧٧١) ^(٧٧٢) ^(٧٧٣) ^(٧٧٤) ^(٧٧٥) ^(٧٧٦) ^(٧٧٧) ^(٧٧٨) ^(٧٧٩) ^(٧٨٠) ^(٧٨١) ^(٧٨٢) ^(٧٨٣) ^(٧٨٤) ^(٧٨٥) ^(٧٨٦) ^(٧٨٧) ^(٧٨٨) ^(٧٨٩) ^(٧٩٠) ^(٧٩١) ^(٧٩٢) ^(٧٩٣) ^(٧٩٤) ^(٧٩٥) ^(٧٩٦) ^(٧٩٧) ^(٧٩٨) ^(٧٩٩) ^(٨٠٠) ^(٨٠١) ^(٨٠٢) ^(٨٠٣) ^(٨٠٤) ^(٨٠٥) ^(٨٠٦) ^(٨٠٧) ^(٨٠٨) ^(٨٠٩) ^(٨١٠) ^(٨١١) ^(٨١٢) ^(٨١٣) ^(٨١٤) ^(٨١٥) ^(٨١٦) ^(٨١٧) ^(٨١٨) ^(٨١٩) ^(٨٢٠) ^(٨٢١) ^(٨٢٢) ^(٨٢٣) ^(٨٢٤) ^(٨٢٥) ^(٨٢٦) ^(٨٢٧) ^(٨٢٨) ^(٨٢٩) ^(٨٣٠) ^(٨٣١) ^(٨٣٢) ^(٨٣٣) ^(٨٣٤) ^(٨٣٥) ^(٨٣٦) ^(٨٣٧) ^(٨٣٨) ^(٨٣٩) ^(٨٤٠) ^(٨٤١) ^(٨٤٢) ^(٨٤٣) ^(٨٤٤) ^(٨٤٥) ^(٨٤٦) ^(٨٤٧) ^(٨٤٨) ^(٨٤٩) ^(٨٥٠) ^(٨٥١) ^(٨٥٢) ^(٨٥٣) ^(٨٥٤) ^(٨٥٥) ^(٨٥٦) ^(٨٥٧) ^(٨٥٨) ^(٨٥٩) ^(٨٦٠) ^(٨٦١) ^(٨٦٢) ^(٨٦٣) ^(٨٦٤) ^(٨٦٥) ^(٨٦٦) ^(٨٦٧) ^(٨٦٨) ^(٨٦٩) ^(٨٧٠) ^(٨٧١) ^(٨٧٢) ^(٨٧٣) ^(٨٧٤) ^(٨٧٥) ^(٨٧٦) ^(٨٧٧) ^(٨٧٨) ^(٨٧٩) ^(٨٨٠) ^(٨٨١) ^(٨٨٢) ^(٨٨٣) ^(٨٨٤) ^(٨٨٥) ^(٨٨٦) ^(٨٨٧) ^(٨٨٨) ^(٨٨٩) ^(٨٩٠) ^(٨٩١) ^(٨٩٢) ^(٨٩٣) ^(٨٩٤) ^(٨٩٥) ^(٨٩٦) ^(٨٩٧) ^(٨٩٨) ^(٨٩٩) ^(٩٠٠) ^(٩٠١) ^(٩٠٢) ^(٩٠٣) ^(٩٠٤) ^(٩٠٥) ^(٩٠٦) ^(٩٠٧) ^(٩٠٨) ^(٩٠٩) ^(٩١٠) ^(٩١١) ^(٩١٢) ^(٩١٣) ^(٩١٤) ^(٩١٥) ^(٩١٦) ^(٩١٧) ^(٩١٨) ^(٩١٩) ^(٩٢٠) ^(٩٢١) ^(٩٢٢) ^(٩٢٣) ^(٩٢٤) ^(٩٢٥) ^(٩٢٦) ^(٩٢٧) ^(٩٢٨) ^(٩٢٩) ^(٩٣٠) ^(٩٣١) ^(٩٣٢) ^(٩٣٣) ^(٩٣٤) ^(٩٣٥) ^(٩٣٦) ^(٩٣٧) ^(٩٣٨) ^(٩٣٩) ^(٩٤٠) ^(٩٤١) ^(٩٤٢) ^(٩٤٣) ^(٩٤٤) ^(٩٤٥) ^(٩٤٦) ^(٩٤٧) ^(٩٤٨) ^(٩٤٩) ^(٩٥٠) ^(٩٥١) ^(٩٥٢) ^(٩٥٣) ^(٩٥٤) ^(٩٥٥) ^(٩٥٦) ^(٩٥٧) ^(٩٥٨) ^(٩٥٩) ^(٩٦٠) ^(٩٦١) ^(٩٦٢) ^(٩٦٣) ^(٩٦٤) ^(٩٦٥) ^(٩٦٦) ^(٩٦٧) ^(٩٦٨) ^(٩٦٩) ^(٩٧٠) ^(٩٧١) ^(٩٧٢) ^(٩٧٣) ^(٩٧٤) ^(٩٧٥) ^(٩٧٦) ^(٩٧٧) ^(٩٧٨) ^(٩٧٩) ^(٩٨٠) ^(٩٨١) ^(٩٨٢) ^(٩٨٣) ^(٩٨٤) ^(٩٨٥) ^(٩٨٦) ^(٩٨٧) ^(٩٨٨) ^(٩٨٩) ^(٩٩٠) ^(٩٩١) ^(٩٩٢) ^(٩٩٣) ^(٩٩٤) ^(٩٩٥) ^(٩٩٦) ^(٩٩٧) ^(٩٩٨) ^(٩٩٩) ^(١٠٠٠) ^(١٠٠١) ^(١٠٠٢) ^(١٠٠٣) ^(١٠٠٤) ^(١٠٠٥) ^(١٠٠٦) ^(١٠٠٧) ^(١٠٠٨) ^(١٠٠٩) ^(١٠١٠) ^(١٠١١) ^(١٠١٢) ^(١٠١٣) ^(١٠١٤) ^(١٠١٥) ^(١٠١٦) ^(١٠١٧) ^(١٠١٨) ^(١٠١٩) ^(١٠٢٠) ^(١٠٢١) ^(١٠٢٢)

أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارىء...».

فهذا الحادث يوضح أن هناك ذاتاً خارجة عن ذات محمد وشخصه تملي عليه وتأخذه وتغطه أي تضمه وتعصره عصراً شديداً، وتقول له: اقرأ، فهي ذات متكلمة، وهي ذات أمرة ومؤثرة في بدنه بالضغط الشديد عليه، حتى يقول النبي ﷺ: «لقد خشيت على نفسي». وذلك يثبت بطلان زعم الوحي النفسي ويفنده تفنيده.

3 - إن الوحي كان ينزل على النبي ﷺ غير مرتبط بإرادته أو رغبته، ولا بتفكيره أو بحته لدى وقوع المهمات، فربما كان في بيته يأخذ شيئاً من الراحة فينهض والبشرى على مُحَيَّاه وقد نزلت سورة، كما ثبت الخبر في نزول سورة الكوثر. أخرج ذلك مسلم في صحيحه⁽¹⁾. ومن القرآن ما تنزل في هزيع أخير من الليل، كآية التوبة على الثلاثة الذين خَلَفُوا⁽²⁾. وآية: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: 67] وكان النبي ﷺ في خيمته والحرس حوله، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من الخيمة فقال: «يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله تعالى»⁽³⁾. ولهذا كثرت أقسام القرآن بحسب أوقات نزوله، فمنه السفري والحضري، ومنه الليلي والنهاري، ومنه ما نزل مشيعاً، وغير ذلك، مما فصلته مصادر علوم القرآن.

4 - «إن عبقرية الإنسان تحمل بالضرورة طابع الأرض حيث يخضع كل شيء لقانون الزمان والمكان، ويتقيد بحدودهما وآفاقهما، بينما يتخطى القرآن دائماً نطاق هذه الحدود، ليدلّ من خلال رحابة موضوعاته على أن دور محمد ﷺ فيه إنما هو الأخذ والتلقي والوعي، ثم الإبلاغ للعالم.

بل إن جميع معارف الإنسان في عصر نزول القرآن ومعارف عصور لاحقة لا تمثل شيئاً من شمول المعارف القرآنية وتنوعها وعمقها، فضلاً عما في معارف القرآن من تصحيح تلك المعارف وتقويم عوجها من جذورها، حتى ما كان منها متعلقاً بما هو سابق لعصر نزول القرآن، فليت شعري إن لم يكن هذا وحياً ممّن يعلم السر في السموات والأرض فأى شيء يكون»⁽⁴⁾.

(1) أول الصلاة ج2، ص: 12 - 13.

(2) البخاري تفسير سورة التوبة ج6، ص: 70، ومسلم في التوبة ج8، ص: 105.

(3) الترمذي في التفسير ج5/251، وصححه الحاكم: 2/213، وابن أبي حاتم. ابن كثير ج3/144.

(4) باختصار وتصرف عن كتاب «الظاهرة القرآنية» تأليف مالك بن نبي رحمه الله.